ضريبة الباريا Paria في الأندلس في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5 هـ/ 11 م.

أ/ بوالصوف فضيل / جامعة العربي بن مهيدي / أم البواقي .

boussouf.fodil@gmail.com

ملخص المقال باللغة العربية :

عرفت الأندلس خلال القرن 5هـ/11م انهيار تاما في وحدتها السياسية ، على إثر تفكك الدولة الأموية إلى إمارات وممالك مستقلة ، مما أحدث انقلابا في ميزان القوة العسكرية بينها وبين الممالك النصرانية في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية ، كان من انعكاساته الخطيرة خضوع الكيانات السياسية – والتي عُرف حكامها باسم ملوك الطوائف– لضغوط النصارى الأسبان ، وقد ترجمت هذه الضغوط في فرض الطرف الأقوى شروطه على الطرف الأضعف ، وكان دفع ضريبة الباريا أو الجزية من صميم هذه الشروط ، هذه الضريبة التي تم توظيفها في خدمة مشروع الاسترداد ، هذا المشروع الذي بدأه فرديناند الأول ملك قشتالة ، ثم استكمله ألفونسو السادس من بعده ، لقد كان لضريبة الباريا الدور الأكبر في رسم المظاهر الكبرى لطبيعة العلاقات التي ربطت بين إسبانيا النصرانية والأندلس الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن 5هـ/11م ، لكنها كانت أيضا عاملا حاسما ساهم في تدخل المرابطين في الأندلس لوقف السياسة المتعسفة التي انتهجها ألفونسو السادس ضد ملوك الطوائف ، هذا التدخل الذي كشف أيضا درجة الخلاف الموجودة بين هؤلاء الملوك ، وبين مدى رغبتهم في العودة إلى الوضع الذي سبق جواز يوسف ابن تاشفين ، بل جعل هواجس ملوك الطوائف ومخاوفهم من أطماع

المرابطين تتحول إلى تحالفات مع الملك النصراني ،مما أعطى المرابطين المبرر لإسقاط حكمهم وإنهاء وجودهم.

Abstract

Andalusia during the 5th century AH / 11 CE was a complete collapse in its political unity following the dissolution of the Umayyad state into emirates and independent kingdoms. This led to a major reversal in the balance of military power among them and between the Christian kingdoms in the northern Iberian Peninsula. Which was defined by the rulers as the kings of the sects - under the pressure of the Spanish Christians. These pressures were translated into the imposition of the stronger party on the weaker party and the payment of the tax of parity or tribute at the core of these conditions. This tax, which has been employed in the service of the project. The project was initiated by Ferdinand I of Castile. It was also a major factor in the intervention of the Almoravids in Andalusia to stop. It was also a major factor in the intervention of the Almoravids in Andalusia. This intervention, which also revealed the extent of disagreement between these kings and the extent of their desire to return to the situation that preceded the crossing of yuseph Ibn Tashfin. But the concerns of the kings of the sects and their fears of the ambitions of the Almoravids turn into alliances with the King The Christian who gave Almoravid justification for

the overthrow of their rule and termination and their descendants.

مقدمــة:

اعتاد النصارى الاسبان طيلة القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي على تقديم فروض الولاء والطاعة للمسلمين في شكل جزية تدفعها الممالك النصرانية في شمال إسبانيا للدولة الأموية في الأندلس ، خاصة عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/912- 961م) ، والحاجب محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور (366-392/976-1002م) [1] ، رغبة من هذه الممالك في شراء السلم من المسلمين ، وتلافي ويلات الحملات العسكرية التي كان يقودها الخليفة عبد الرحمان الناصر واستمر على نهجه الحكم المستنصر ، بل زادت حدتها على عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر . كانت تهدف بالأساس إلى تأكيد شرعية الحكم والحصول على التأييد الشعبي ، وإرهاب العدو والحصول على الغنائم التي كانت تشكل موردا هاما من موارد الدولة ، حتى أضحى الحاجب المنصور يلقب بالجلاّب من كثرة الغنائم التي كان يأتي بها بعد حملاته على الممالك النصرانية في الشمال الإسباني.[2]

لم تستطع الدولة الإسلامية في الأندلس الحفاظ على تفوقها العسكري والسياسي ، وانفرط عقد الخلافة الأموية ، وتفرقت كلمة المسلمين ما جعلهم يرزحون تحت وطأة القوة العسكرية الإسبانية المتزايدة منذ مطلع القرن الخامس هجري /الحادي عشر ميلادي ، هذا القرن الذي مثل بصدق الصورة الأسوأ لضعف المسلمين وتشتتهم إلى إمارات وممالك صغيرة اصطلحت المصادر التاريخية على تسمية حكامها بملوك الطوائف ، فتحول سيد الأمس إلى تابع أو خاضع ، وظهر سادة جدد لشبه الجزيرة الأيبيرية ، فلا عجب

أن نجد هؤلاء الحكام الضعفاء يتسابقون للاستعانة بملوك النصارى الأسبان لمحاربة بعضهم بعضا سعيا وراء توسيع حدود ما تحت أيديهم من مناطق تارة ، أو لشراء السلم من ملوك إسبانيا تارة أخرى ، فقدموا لهم الضريبة السنوية تعبيرا عن الخضوع أو الولاء ، هذه الضريبة التي تصفها المصادر الإسلامية بأنها جزية ، ونجدها تتردد في المصادر الإسبانية باسم باريا Paria ، فهل الباريا هي الجزية ؟ أم أنها ضريبة اسبانية مستحدثة لم يكن للمسلمين في الأندلس سابق عهد بها ؟

من هنا جاء هذا المقال ليبحث في أصل هذه الضريبة التي فرضها ملوك إسبانيا النصرانية على ملوك الطوائف ، وليتتبع مراحل تطورها، وكيف تم توظيفها في استنزاف الكتلة النقدية الأندلسية وتوجيهها نحو الممالك النصرانية في شمال إسبانيا ، خاصة مملكة قشتالة وليون التي تبنى ملوكها سياسة تعسفية ضد ملوك الطوائف ، وصولا لتفسير تبعات هذه السياسة على مستقبل الوجود الإسلامي هناك في ظل تنامي حركة الاسترجاع أو الاسترداد Reconquista وتدخل المرابطين الذي أدى إلى وقف الزحف النصراني نحو الجنوب ، وعجل بالسقوط المفاجئ والسريع لنظام ملوك الطوائف .

1- الخلفية التاريخية لظهور ضريبة الباريا:

إن دراسة التاريخ الاقتصادي للأندلس وموضوع الضرائب في عهد ملوك الطوائف بشكل خاص أمر في غاية الصعوبة ، ومحفوف بالكثير من المخاطر والمنزلقات ، ورغم توفر المصادر نسبيا إذا قيست بفترة الدولة الأموية ، لكن هذه المصادر لم تُستغل بالشكل المناسب ،إما لقصور المؤرخين الغربيين وعدم معرفتهم باللغة العربية ما جعل استفادتهم من المصادر الإسلامية محدودا[3] ، أو لتناول الباحثين العرب لهذه المسائل الشائكة والمعقدة بشيء من السطحية وعدم قدرتهم على إعطاء تفسيرات مقبولة لحجم

التناقض بين المجتمع الإسلامي الذي بلغ منتهاه في التحضر والمدنية ، ومجتمع نصراني كان يعيش مرحلة البداوة ويتمتع بفيض من الحماسة الدينية دفعت به للتطلع لأخذ ما في أيدي أعدائه ، وهو يراهم في حالة من الضعف العسكري ، غير قادرين على وقف دورة الحضارة كما نظّر لها ابن خلدون.

إن حدوث هذا التحول الجذري في ميزان القوة بين المسلمين والنصارى خلال فترة وجيزة يدعوا إلى التأمل في الأسباب التي تقف وراء التراجع المفاجئ لقوة المسلمين وصعود نجم النصارى الأسبان ، من ممالك خاضعة تدفع الجزية للمسلمين وتخطب ودهم ، إلى قوة مهابة سعت لفرض إرادتها وإملاء شروطها على حكام كرسوا جهودهم لمحاربة بعضهم وبذل الأموال لحماية عروشهم.

تشير المصادر الإسلامية بوضوح في هذا الصدد إلى أواخر القرن 4هـ/10م كبداية لانهيار الدولة الأموية ، ويحمّل مؤرخو الفترة الوسيطة عبد الرحمان شنجول [4] مسؤولية اسقاط هيبة الخلافة من قلوب الناس ، فاسحا المجال لدخول الأندلس في حرب أهلية مدمرة أو ما عُرف في المصادر الإسلامية بالفتنة البربرية [5] ، استغلها ملوك الأسبان للتدخل في الشأن الداخلي للأندلس.

إن تبادل طرفا الصراع على السلطة الاستعانة بالنصارى الأسبان في محاربة بعضهم بعضا[6] مكّن هؤلاء النصارى من كسر حاجز الخوف من المسلمين وتحطيم الصورة التي بدل عبد الرحمان الناصر والحاجب المنصور جهدا مضنيا في سبيل ترسيخها ، ولدينا من القرائن التي تدعم هذا التوجه ، حيث يذكر ابن عذاري نصا في غاية الأهمية على لسان صاحب قشتالة Sancho Garcia – الذي كان يُعدّ أقوى أمراء الشمال الاسباني آنذاك– حيث سمعه بعض الناس عند دخوله قرطبة في صحبة المستعين سنة

400هـ/1010م يقول:((...كنا نظن أنّ الدين والشجاعة والحق من أهل قرطبة ، فإذا القوم لا دين لهم ولا شجاعة فيهم ولا عقول معهم ، وإنما اتفق لهم من الظّهور والنصر بفضل ملوكهم ، فلما ذهبوا انكشف أمرهم...)) [7] .

واستنادا إلى هذا النص الذي يشير بوضوح إلى دهشة شانجه Sancho أمير قشتالة من درجة التفكك الذي أصاب الدولة الإسلامية في الأندلس ،الأمر الذي دفع به إلى تبني سياسة جديدة تقوم على إذكاء نار الفتنة وإطالة عمر الصراع بين المسلمين ، ودفعهم إلى استنزاف قوتهم الداخلية عن طريق الاقتتال ، فنجده على سبيل المثال يبادر إلى محالفة البربر ويدعمهم عسكريا ، ثم يتحول إلى محالفة الأندلسيين ليطلب مقابل ذلك استرجاع عشرات الحصون القريبة من بلاده ، والتي استولى عليها الحكم المستنصر والمنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر ، وكانت تزيد عن مائتي حصن بحسب الرواية الاسلامية[8] .

إن خطورة هذه السياسة الجديدة لا تتأتى من النتائج المباشرة التي ترتبت عنها ، لأنها كانت في بداية الأمر محدودة التأثير من الناحية الاقتصادية ، لكنها خلفت وضعا سياسيا خطيرا بعد أن اتضح ضعف ملوك الطوائف وعدم قدرتهم على تحقيق انتصارات حاسمة في حروبهم الأهلية دون الاستعانة بالنصارى الأسبان ، ولم يجدوا غضاضة في تقديم الحصون والتنازل عن المدن لضمان الدعم العسكري[9] ، لكن الأخطر من ذلك ، هو تبني معظم الحكام الأسبان لهذه السياسة وتطويرها بما يتلاءم والمتغيرات السياسية والظروف الاقتصادية وميزان القوة العسكرية.

لم تكن القوة العسكرية لنصارى الشمال الأسباني تسمح بتبني سياسة عسكرية تفضي إلى استئصال الوجود الإسلامي من شبه الجزيرة الأيبيرية ، لكن هذه القوة كانت

قادرة على شن الحملات التخريبية وممارسة الضغط العسكري والنفسي على ملوك الطوائف بهدف إجبارهم على الرضوخ لشروط محددة أثناء التفاوض[10] ، وبطبيعة الحال شكلت الباريا Paria صلب هذه السياسة.

2- الباريا ضريبة أم جزية ؟:

لم يأت ذكر مصطلح "الباريا" في المصادر الإسلامية ، وكل ما يتردد في هذه الكتابات ذكرهم للضريبة [11] التي فرضها ملوك إسبانيا النصرانية على ملوك الطوائف، وحتى فرض هذه الضريبة لا نلمس له أثرا حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، لذلك لا يمكن التعويل على الرواية الإسلامية لتحديد المعنى الدقيق للباريا، التي قد يوحي رسم حروفها للوهلة الأولى أنها غير عربية ، وبالمقابل تسهب الرواية النصرانية في إعطاء التفاصيل الدقيقة كلما قدّم المسلمون الأموال للنصارى مقابل الحصول على خدماتهم العسكرية لمحاربة الخصوم وتسميها بأنها "باريا" [12].

إن كثير من المهتمين بالدراسات الاقتصادية لأسبانيا الوسيطية يؤكدون على أن الباريا هي الجزية[13] التي تغيرت وجهتها نتيجة التحول في ميزان القوة العسكرية لصالح النصارى ، لكن السؤال الذي يطرح بإلحاح في هذه الحالة : لماذا تم استخدام مصطلح الباريا Paria وليس الترجمة الإسبانية التي تعني الجزية Tributo؟

إن الغموض الذي يلف هذه القضية جعل كثيرا من الباحثين يصرفون النظر عنها مقابل التسليم بأن الباريا هي الجزية[14] ، وإذا كانت الجزية موروثا إسلاميا صرفا ظهر منذ قيام الدولة الإسلامية واتساع رقعتها ودخول أجناس غير مسلمة في حماية المسلمين ، فمن الصعب إذن التسليم بأن الباريا ما هي إلا الشكل النصراني الجديد للجزية الإسلامية .

إن أكثر الاجتهادات في إعطاء تخريج لظهور الباريا في المصادر الاسبانية تعود لأحد الباحثين الأسبان المحدثين ، حيث يذهب إلى كون هذا المصطلح كان يستخدم أكثر في النصوص الخاصة بمنطقة كتالونيا [15] ويبدو أن هذا التوجه ربما يكون مقبولا إذا أخذنا في الحسبان أن أمير برشلونة ريموند Raymond de Barcelona قد عقد سنة 400هـ/1010م تحالفا مع الخليفة المهدي لمحاربة البربر مقابل مبالغ مالية تدفع له ولجنده[16] ، وقد يكون هو الأساس الذي اعتمدت عليه الكتابات الإسبانية في توصيف هذا المال المقدم على أساس أنه مال مقابل خدمة عسكرية "باريا" . غير أن الإشكال الذي نصادفه إذا سلمنا بصحة هذا الرأي ، هو أن "الباريا" بهذه الصورة لا تفيد معنى الجزية ، لأنها لا تعبر عن مقتضى الحال أو الاعتراف بالخضوع لطرف أقوى مقابل الحصول على الحماية.

لكن هناك أيضا الرأي القائل بأن الباريا ربما يعود أصلها إلى معنى الغنيمة التي يتم الحصول عليها من المعارك والحروب ، فعادة ما يحصل المنتصر على الغنائم من الطرف المهزوم ، وقد كانت الغنيمة وقتئذ محركا هاما لكثير من الأمراء النصارى للحصول على أموال المسلمين بطرق سهلة ، وقد سبق للمنصور محمد بن أبي عامر القيام بهذا الأسلوب في الشمال الأسباني وحصل من غزواته الكثيرة على غنائم هامة من الأسبان[17] . إن الاقتران إذن بين الغنيمة والباريا الذي غالبا ما نصادفه في النصوص الأسبانية القديمة ربما يرشدنا إلى الخلفية التاريخية لظهور الباريا ومدلولها الحقيقي.

إن القرن الخامس هجري/ 11م ، يحفل أيضا بمظاهر أخرى وأشكال جديدة من التقارب الغريب بين حكام إسبانيا النصرانية وملوك الطوائف لم يسبق أن شهدناه من قبل ، ويشمل عرض الخدمات العسكرية على ملوك الطوائف المتصارعين مقابل مبالغ محددة من الذهب ، ولا تعوزنا الأمثلة في هذا الباب ، فهي كثيرة ، فقد استعان على

سبيل المثال المؤتمن بن هود صاحب سرقسطة بحليف أبيه القديم (السيّد)[18] وجنوده المرتزقة القشتاليين مقابل مبالغ من المال، أما أخوه المقتدر فمَالَ إلى سانشو راميريث (455-487هـ)/(1063-1094م) ملك أراغون[19] ورامون برنجير (427-469هـ)/(1035-1076م) أمير برشلونة[20] ، وطلب المأمون بن ذي النون ملك طليطلة المساعدة العسكرية من حليفه فرديناند الأول لاستعادة مدينة وادي الحجارة مقابل مبلغ من المال[21]، ولم يتردد المقتدر بن هود ملك سرقسطة في رشوة ملك أراغون سانشو راميريث مقابل تمكينه من قافلة أخيه يوسف المظفر التي أرسلها إلى سكان مدينة تطيلة المحاصرة [22]، لكن أعظم المبالغ المالية المقدمة لملوك النصارى في سبيل الحصول على المساعدة العسكرية وصل إلى 100.000 دينار دفعها المقتدر بن هود سنة 468هـ/1075م لألفونسو السادس ملك قشتالة وليون مقابل مساعدة عسكرية لغزو بلنسية [23]، ومن الجدير بالذكر أن هذه السياسة ستغدو قريبا ظاهرة واسعة الانتشار في عهد الملك فرديناند الأول وابنه ألفونسو السادس.

إن هذا هو الشكل الجديد الذي اتخذته الباريا في عصر ملوك الطوائف وهو أشبه ما يكون بنفقات الارتـزاق أي تحصيل الأموال مقابل تقديم خدمات عسكرية تُعرضُ على من يستطيع أن يتحمل تكاليفها المالية وليس بدافع آخر ، وعلى الرغم مما يمكن أن يقال حول هذه الوسيلة في الحصول على الذهب من المسلمين ، لكنها مكّنت ملك قشتالة وليون من تحصيل مبالغ طائلة من أموال مسلمي الأندلس ، ولا غرابة أن نجد أصحاب المدونات الإسبانية يدرجون هذا الذهب ضمن الباريا المحصلة من المسلمين[24].

وعليه يمكن أن نصل إلى نتيجة هامة تكشف لنا عن ذلك التحول التدريجي الذي طبع التطور التاريخي لمدلول "الباريا" ، ولا نبالغ إذا قلنا أن الباريا في البداية كانت تطلق على ما يحصل عليه النصارى من المسلمين سواء أكان ذلك حصونا و قلاعا أو أموالا

في شكل غنائم حرب ، غير أن مجيء فرديناند إلى عرش قشتالة وليون ثم ألفونسو من بعده أدى إلى توسيع هذا المفهوم ليشمل أيضا أموال ملوك الطوائف المقدمة للنصارى نظير الخدمات العسكرية ، بل سنلاحظ كيف اقترب هذا المفهوم من المدلول الحقيقي للجزية حينما تمكن ألفونسو السادس من إجبار معظم ملوك الطوائف مثل: سرقسطة ، طليطلة ، إشبيلية وغرناطة على دفع مبالغ مالية سنوية مقابل توفير الحماية أو المساعدة العسكرية التي يقدمها لهذا الملك أو ذاك من ملوك الطوائف ، وهنا فقط نستطيع القول أن "الباريا" أخذت بالفعل شكل الجزية التي كان يفرضها المسلمون على الممالك النصرانية خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي ، وتذهب الباحثة الأمريكية أوليفيا ريمي كونستابل[25] أبعد من ذلك لتعطي مدلولا للباريا يتفق مع مفهوم الجزية وترى أن أصل الباريا عربي اشتق من فعل" بَرَأَ " أي تَحرّرَ من دين أو أَعْطَى أو تَنَازَلَ في بعض التصريفات ، ويمكن أن نقبل بهذا التخريج في ظل علمنا أن الاسبان قد اقتبسوا كثيرا من الكلمات العربية إلى لغتهم الدارجة القشتالية.

3- ضريبة الباريا بين تعاليم الكنيسة ومتطلبات حرب الاسترداد:

إن كل هذه الأصناف من الباريا مهما تعددت أشكالها كانت تصبُّ في النهاية في صالح الممالك النصرانية الذي قامت بتوظيف هذه الأموال المحصلة في تدعيم قدراتها العسكرية وتحقيق انتصارات على الأرض ، واستطاعت في نفس الوقت إلحاق أضرار فادحة باقتصاد دول الطوائف وجعلته يوشك على الانهيار ، لكن هل يعني ذلك بالضرورة أن ذهب الباريا قد تم توظيفه في النهوض بالاقتصاد القشتالي وأن الوزن الاقتصادي لشبه الجزيرة الأيبيرية قد تدحرج صوب الشمال الاسباني ؟ وإذا كان الأمر كذلك لماذا لا نلمس تحولا كبيرا في الأوضاع الاقتصادية والجوانب الاجتماعية ، بما في

ذلك المستوى المعيشي لغالبية السكان القشتاليين ، رغم حجم الثروات الكبيرة التي تجمعت لدى ملوكهم وأمرائهم ؟ .

إن الإجابة على هذه التساؤلات تتطلب منا أولا الوقوف على طبيعة وشكل القوى الاجتماعية المحركة داخل المجتمع القشتالي، والتفاعل الذي حدث بين فئات المجتمع وطبقاته ، وكيف أفضت في النهاية إلى حراك اجتماعي جعل من الحرب وسيلة ناجعة لتحقيق الثراء والارتقاء في السُلّم الاجتماعي[26].

لقد اتخذ ألفونسو السادس عدة اصلاحات تمسُّ الكنيسة ، وكان الهدف من ورائها تدعيم مركزه كحاكم قوي يقود حربا مقدسة ضد المسلمين ، ولجأ إلى التحالف مع الكنسية الكاثوليكية التي أعلنت أن كنيسة المستعربين المحلية وجب اعتبارها كنيسة غير شرعية[27] .

لكن محصلة هذا التحالف أفضت إلى نتائج غير متوقعة ، وبقدر ما سهلت مهمة ألفونسو في تجنيد المزيد من النصارى والزج بهم في ساحات الحروب لقتال المسلمين ، أعطت للكنيسة وللرهبان الكاثوليك الحق في السيطرة على أراضي شاسعة داخل المملكة ، ونتيجة الضغوط والصعوبات الداخلية المستمرة كان المخرج الوحيد من الأزمة يكمن في حركة الاسترداد[28]، لاستعادة الأرض – بحسب المفهوم الأسباني ، واستغلال ثرواتها وخيراتها ، مما أدى إلى ظهور مجتمع إسباني مبني على أسس جديدة جعل من الحروب موردا حيويا له[29] ، فكان لزاما على من يرغب في تحسين وضعه الاجتماعي الانخراط والمشاركة الفاعلة في شن الحروب على المسلمين لأنها الوسيلة الأسهل والأسرع لكسب الأموال .

لكن الاعتماد على أسلوب اقتصاد الحرب وحده – الذي انتهجه ألفونسو السادس بدعم من الكنيسة بصورة مباشرة أو غير مباشرة – قد لا يُمكّننا من فهم درجة الارتباط بين سياسة هذا الملك وبين رغبته غير المحدودة في الحصول على ذهب وأموال المسلمين بشتى الطرق وبمختلف الأساليب ، حتى بلغ به الحد قطع المسافات الطويلة وقيادة الحملات العسكرية بنفسه للضغط على ملوك الطوائف وإجبارهم على دفع الأموال التي كان يحدد مقدارها ، وكثيرا ما حاول دعم موقفه أثناء التفاوض باللجوء إلى أسلوب الترهيب والتلويح باستخدام القوة العسكرية ، أملا في إخضاع ملوك الطوائف بأقل التكاليف الممكنة كما فعل مع الأمير عبد الله بن بلكين[30].

قد يكون استقصاء أبعاد هذه السياسة بعيد المنال إذا لم تتم الإحاطة بحركة هذه الأموال التي انتقلت من دول الطوائف إلى ممالك الشمال الإسباني ، لأن تتبع مصير هذه الأموال ومحطاتها المختلفة من شأنه المساعدة على إدراك حجم الدور الذي قامت به الكنيسة الإسبانية في الدفع بحركة الاسترداد إلى حدودها القصوى .

لقد تبنت هذه الكنيسة مبادئ جديدة تناقض كثيرا تعاليم ومبادئ الكنيسة الرومانية ، خاصة ما تعلق بكفارة الذنوب المرتكبة . فمن المعروف أن كفارة الذنوب بالنسبة لغير رجال الدين يُمْكن أن تكون عن طريق الصوم ، كما يمكن أن يستبدل الصوم بتقديم الأموال للكنيسة ، ويتم تحديد أيام صوم التائب تبعا لنوع المعصية المرتكبة ، لكن وثيقة سيلوس لتكفير الذنوب[31] جاءت لتتيح إمكانية تجنب العقوبة الجسدية المتمثلة في الصوم ، بعقوبة مادية تقوم على تكفير الذنوب عن طريق دفع الأموال مع تحديدها للمبالغ المالية المطلوبة لكل ذنب مرتكب.

إن صيام أربعين يوما لم يكن من السهولة بمكان أن يقوم به من يرتكب ذنبا ، وقد يعود إليه بعد ذلك خاصة من كان في أعلى سُلّم الهرم الاجتماعي ولا يجد صعوبة في توفير المال المطلوب ، لذلك كان كثير من النصارى الاسبان على استعدا لتقديم أربع قطع ذهبية كفارة لذنوبهم بدل صيام أربعين يوما [32].

لقد دفعت هذه التعاليم الكنسية الجديدة ملك قشتالة إلى البحث الدائم على مصادر مختلفة للحصول على ذهب المسلمين ، لكن الاعتقاد بأن هذه الأموال كانت موجهة لتكفير الذنوب فقط أمر يصعب قبوله ، لأن ملوك إسبانيا النصرانية جمعوا في خزائنهم كميات كبيرة من الذهب ، تم انفاقها على تشكيل الجيوش والمجهود الحربي وعلى شراء المصنوعات الفاخرة من داخل الأندلس أو من خارجها ، غير أن ذلك لا يجعلنا نغفل أن كميات هامة من ذهب المسلمين انتقلت إلى خزائن الكنيسة وتم اكتنازها ، كما استخدمت قسطا منه في زخرفة الكنائس وتزيينها ، لذلك كان البحث عن المال والتطلع للحصول على معظم الكتلة النقدية المتداولة بين مسلمي الأندلس ضرورة ملحة لنصارى الشمال الاسباني ، لأنه يتيح للملوك تأمين النفقات العسكرية الضرورية لعمليات الغزو والتوسع والاسترداد ، وتحقيق الحد الأدنى لمتطلبات الحكم ونفقات البلاط ، لكنه في نفس الوقت لا يقل أهمية بالنسبة لفئات واسعة من الناس فهو وسيلة التكفير عن الذنوب ، والسبيل الأنجع لتحسين المستوى المعيشي والرقي الاجتماعي.

لا شك أن هذه السياسة التي انتهجها ملوك قشتالة وليون بدعم من الكنيسة قد تركت أثرها الايجابي على الحياة العامة داخل المجتمع القشتالي ، وحركت فيه روح الحماسة الدينية ودفعت به إلى الاشتراك في الحروب التي كانت تُشنّ على المسلمين، بدافع الدين والعقيدة أو بتأثير الكسب المادي ، لكن الأخطر من ذلك هي النتائج السلبية المترتبة عن هذه السياسة على رقعة الدولة الإسلامية في الأندلس ، إذ لا يصعب على الدارس لتاريخ

الأندلس ملاحظة التحول الكبير في خط الحدود الفاصلة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، هذا الخط الذي انتقل بشكل سريع من ضفاف نهر دويره Duero خلال النصف الأول من القرن 5 هـ/11م إلى حدود نهر التاجو Tajo خلال النصف الثاني من نفس القرن ، ما يعني نزول الحدود الفاصلة بين الأندلس ومملكة قشتالة وليون نحو الجنوب [33]، وفقدان المسلمين مساحة واسعة من الأراضي التي التهمتها حركة الاسترداد النصراني ، هذه الحركة التي بلغت ذروتها بسيطرة ألفونسو السادس على مملكة طليطلة سنة 478هـ/1085م [34].

لقد اعتقد ألفونسو أن حلمه في استرداد كامل الأندلس من المسلمين قد اقترب ، وداخله الإعجاب ما احتقر به كل ماشٍ على التراب كما يقول ابن الكردبوس[35]، وتلقب بالإمبراطور ذو الملتين الإسلامية والنصرانية ، ولا غرابة في ظهور بوادر لسياسة جديدة تجاه ملوك الطوائف ، هذه السياسة التي لم يعد فيها الحصول على الباريا كافيا ، بل قامت على أطماع جديدة ترمي إلى أخذ البلاد ، واعتقد- خطأً- أن لا أحد من ملوك الطوائف يتجرأ على معارضته ، غير أن شعور هؤلاء الملوك بأن الخطر أصبح يتهدد وجودهم دفع بعضهم إلى التفكير بشكل جدي في الاستعانة بالمرابطين.

4- ضريبة الباريا وتدخل المرابطين في الأندلس:

تشير النصوص التاريخية المتأخرة إلى سنة 475هـ/ 1082م كبداية للتحول المفاجئ في سياسة ألفونسو السادس نحو ملوك الطوائف ، وتتلخص أسباب هذا التحول حسب المقري[36] والسلاوي [37] في حادثة قتل المعتمد بن عباد لابن شاليب رسول ألفونسو الذي كلفه باستلام ضريبة الباريا أو الجزية من ملك اشبيلية ، ويبدو أن هذا الرسول الخبير بمعرفة عيار الذهب قد رفض استلام الباريا بحجة أنها من عيار زائف . وإذا سلمنا بصدق

إدعاءات ابن شاليب بأن المعتمد أقدم على ضرب عملة من عيار زائف لتسديد الباريا ، فهذا يعني أن انهيار اقتصاد الأندلس كان عاما وشاملا ، ولم تعد حتى أقوى دول الطوائف مثل اشبيلية قادرة على الوفاء بالتزاماتها المالية للملك النصراني.

تطرح هذه الحادثة كثيرا من التساؤلات ، وينتاب الغموض جوانب كثيرة منها ، بدءًا بتاريخها الذي يجعله المقري سنة 475هـ/ 1082م، مستندًا إلى رواية ابن اللّبانة وهو أمر يصعب قبوله. أما الإشكال الآخر، فيرتكز على دوافع ألفونسو من إرسال ابن شاليب الخبير في أعيرة المعادن لاستلام الجزية ، وقد اعتاد أن يبعث بعض قواده، ممّن ينوبون عنه في هذه المسائل ؟

أمّا التساؤل الثالث الذي يطرح نفسه بقوة هو: كيف يُقْدِمُ المعتمد بن عباد على هذه الخطوة ويقتل رسول ألفونسو ، وهو يدرك تماما ما قد يجرّه هذا الأمر من غضب الملك النصراني ونقمته عليه بل ويعطي هذا الملك المبرّر لغزو بلاده وإنهاء ملكه؟.

مع الأسف أن هذه الحادثة – على أهميتها – لم تُقرن بتاريخ محدد في مختلف المصادر الإسلامية ، ومع ذلك نجد صعوبة بالغة في التسليم بأن تاريخ سفارة ابن شاليب إلى المعتمد بن عباد هو سنة 475هـ لعدة اعتبارات وهي :

1- كان المعتمد في هذه السنة أي 475هـ، لا يزال في حلفٍ مع ألفونسو منذ عام 471هـ/1078م حيث كانت مملكة طليطلة هدفًا لأطماعهما ، واستمرّا في حلفهما حتى سقوط المدينة في يد النصارى عام 478هـ /1085م.

2- من جهة أخرى ، كان ألفونسو في السنة المذكورة ، منشغلا بأحداث طليطلة ، والثورات المتعاقبة لأهلها على ملكهم الضعيف القادر بالله (467-

478هـ)/(1075-1085م) ، فقد وضع ألفونسو نُصْبَ عينيه السيطرة على طليطلة عاصمة أسلافه القوط ، لما تمثله من قيمة معنوية ورمزية كبيرة لجميع النصارى الاسبان.

3- يتفق كثير من المؤرخين المسلمين ، على جعل سقوط طليطلة في يد النصارى دافعًا قويا لاستنجاد ابن عباد وغيره من ملوك الطوائف بالمرابطين، ولو أنّ هذه السفارة ، وقعت في وقت سابق كما يدّعي المقري وغيره، لربما كان لألفونسو الوقت الكافي لغزو اشبيلية وإخضاعها، ولسقطت في يده قبل طليطلة.

غير أن المؤرخ المشرقي ابن الأثير[38] ألمح في أحد النصوص إلى كون هذه السفارة جاءت بعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس ، وعليه نرجح بأن تاريخها كان في عام 478هـ/1085م أي بعد سقوط المدينة بفترة وجيزة وليس قبل ذلك.

إن إقدام المعتمد بن عباد على قتل ابن شاليب قد كانت له عواقب مدمرة على علاقة مملكة قشتالة وليون بإشبيلية وتسبب في إحداث قطيعة تامة بينهما، حيث أقسم ألفونسو بأغلظ الإيمان لينتقمنّ من المعتمد، وأن يحشد له من الجنود عدد شعر رأسه. وتذكر إحدى الروايات بالمناسبة الحملة العسكرية الضخمة التي قادها ألفونسو ضد اشبيلية حيث وصلت بحر الزقاق(البحر المتوسط)[39].

أما الإجابة عن التساؤل المتعلق بالدوافع الحقيقية لألفونسو من إرسال اليهودي ابن شاليب لقبض الباريا ، فقد يتبادر إلى الذّهن أنّ هذا الملك كان يخشى أن يزيّف المعتمد عيار العملة كما فعل سنة 471هـ/ 1078م، مع ريموند برنجير صاحب برشلونة، حينما افتدى منه ولده الرشيد.

لكن استبعاد هذا الافتراض ليس بالأمر العسير ، إذا علمنا أنّ ألفونسو سبق له تحصيل الباريا من اشبيلية دون أن يشكّك في عيارها طيلة خمس سنوات سابقة من سنة 472هـ/1079م وحتى سنة 477هـ/1084م .

من المؤسف أن كثيرا من الدراسات الحديثة قد تبنت الطرح الذي يقول بإقدام المعتمد بن عباد على سك عملة من عيار رديء ، دون تقديم القرائن المادية التي تدعم هذا الزعم ، فلا الدراسات النمسمائية أقرّت بذلك[40] ، ولا كتب النوازل المعاصرة لتلك الفترة أشارت إلى ذلك[41] ، بل على العكس كانت في معظمها تُشيد بالعملة العبادية ، وجعلتها قريبة من حيث عيارها من العملة المرابطية .

وفي هذه الحالة فإن سلوك ابن شاليب ورفضه تَسلُّم الباريا من المعتمد بن عباد، ربما ليس بسبب رداءة عيارها ، لكنه يُترجم السياسة الجديدة لملك قشتالة ويكشف بعض ملامحها ، فلا غرابة أن يطلب هذا الرسول تعويض قيمة الباريا بتسليم اشبيلية بعض الحصون القريبة منها للنصارى ، وتم إملاء هذه الشروط الجديدة في تطاول واضح تجاوز كل الأعراف الدبلوماسية بحسب صاحب كتاب الحلل[42]، ولعل ذلك يفسر إقدام ابن عباد على قتل اليهودي وصلبه.

لذلك يبدو أنّنا أمام تحول عميق في سياسة ألفونسو الخارجية ، وهي سياسة مغايرة تماما لسابقاتها ، فلم يعد هذا الملك يقنع بخضوع ملوك الطوائف ودفعهم الباريا ثمنا لشراء السلم منه –كما سبق وأشرنا – بل أخذ يتطلّع للقضاء على وجودهم وأخذ الأرض منهم في خطّة مدروسة لاسترداد كامل الأندلس . والغريب في الأمر ، أنّ هذه الخطّة لم تكن خافية عن ملوك الطوائف ، فقد شرح الأمير عبد الله الزيري في مذكراته سياسة

ألفونسو الجديدة بشكل مفصل وعميق دلّ عن إدراك وفهم لأبعاد هذه السياسة ومخاطرها ، لكنه كان عاجزا بشكل تام عن اتخاذ أي إجراء لمجابهتها أو التصدي لها[43].

لقد توقف ملوك الطوائف عن تقديم الباريا لملك قشتالة وليون مدة تزيد عن السنتين، منذ هزيمة ألفونسو في معركة الزلاقة 479هـ/1085م ، وحتى الجواز الثاني للمرابطين لحصار حصن لييط Alledo سنة 481هـ/1088م، لقد أعطى الدور المرابطي الحاسم في المعركة الفرصة ليوسف بن تاشفين لفرض وصايته على ملوك الطوائف ، لكن هذه الوصاية لم تقف عند تقديم المساعدة العسكرية لملوك الطوائف ضد هجمات النصارى ، بل امتدت بادئ الأمر إلى محاولة فض النزاع القائم بينهم وإصلاح ذات البين وتوحيد الكلمة ضد العدو المشترك ، غير أن الملك النصراني سرعان أحبط هذه الجهود ، و تمكن من إعادة تنظيم صفوفه بدليل القوات التي أرسلها إلى شرق الأندلس انتقاما من ملوك الطوائف خاصة المعتمد بن عباد ، هذه القوات التي كان هدفها الأساسي التخريب المادي لإجبار ملوك الطوائف على دفع الباريا من جديد [44].

إن عودة ملوك الطوائف للخضوع للملك ألفونسو ، ودفع باريا مضاعفة كما حدث مع أمير غرناطة ، جعلت يوسف بن تاشفين يستاء من هذا الموقف ويعتبره من قبيل الخيانة ، التي تستوجب العقوبة[45].

إن الأموال التي كانت تُدفع في شكل "باريا" كانت تأتي من فرض ملوك الطوائف ضرائب مرهقة على الرعية ، لقد عبر الأندلسيون عن رفضهم لهذه الضرائب في أكثر من مناسبة[46] ، لكنهم كانوا عاجزين عن المقاومة بشكل جماعي ومنظم ، غير أنهم وجدوا في المرابطين المخلص من الوضع المزري الذي كانوا يعيشونه ، لقد تقاطعت مصالح المرابطين مع تصاعد الأصوات المنادية بإسقاط حكم ملوك الطوائف الجائر واستبداله

بحكم ينادي بتطبيق الشريعة ، ولا يكلف الرعية غير الزكاة والعشر ، لقد ترجمت هذه الأصوات في فتاوي علماء الأندلس الذين منحوا يوسف بن تاشفين المبرر الشرعي لاجتثاث حكم ملوك الطوائف [47].

خـــاتمة:

إن دفع ملوك الطوائف لضريبة الباريا شكل عبئا كبيرا على الاقتصاد الأندلسي ، وزاد من إرهاق الخزينة وإفراغها من العملة التي أخذت طريقها نحو الشمال ، ومبالغ هذه الجزية كانت تتزايد تبعا لتزايد قوة ملوك النصارى وخاصة ألفونسو السادس، الذي استطاع أن يجبر أكبر الممالك الطائفية على الخضوع لإرادته ودفع مبالغ محددة من الذهب كل عام ، كسرقسطة ، وطليطلة ، إشبيلية ، وإذا كانت بعض دول الطوائف قادرة على دفع هذه الأموال دون أن يؤدي ذلك إلى انهيار اقتصادها بشكل كلي ، فإن دولا أخرى كانت عاجزة عن تدبير الأموال المطلوبة ، والنتيجة كانت لجوء ملوك الطوائف للشطط مع رعاياهم لانتزاع الأموال المستحقة لملك قشتالة وليون، وهو ما أعطى الرعية المبرر الأخلاقي لمطالبة المرابطين بضرورة التعجيل في إنهاء حكمهم الجائر ، وهذا يفسر السقوط السريع والسلمي لكثير من المدن الأندلسية في يد المرابطين دون مقاومة تذكر .

الهوامـــــش والإحالات:

[1]- ابن الخطيب لسان الدين : **كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبـل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق ليفي بروفنسال نُشر بعنوان : تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، 1424هـ/ 2004م، 66.

[2]- بلغت غزواته سبعا وخمسين غزوة (الصوافي والشواتي) ، راجع : ابن عذاري المراكشي :**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، 2/ 301.

[3]- امحمد بن عبود : **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، ط2 ، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ، تطوان ، 1999، ص51.

[4]- أطلق عليه هذا الاسم من قِبل أمه تصغيرا لاسم أبيها شانجه أي سانشويلوSanchuelo شنجول كونه كان أشبه الناس به ، ومعروف أنّ أم عبد الرحمان هي ابنة شانجة الثاني ابن غرسية الأول ابن شانجة الأول الملقب بأباركا (Abarca) Sancho Garcés II ، وكان أبوها قد قدمتها زوجة للمنصور بن أبي عامـــر

فأسلمت وأنجبت له عبد الرحمان،وقد أعقب هذا الزواج حلف بين البشكنس(إقليم الباسك حاليا)في شمال اسبانيا وقرطبة، وأقبل شانجة في زيارة رسمية لقرطبة سنة 382هـ/ 992م، أنظر :ابن الخطيب : **أعمال الأعلام، 66** .

ابن الابار: **الحلة السيراء** ، تحقيق:حسين مؤنس، دار المعارف ، القاهرة ، 1985م ، 272/1 ، هامش رقم 1.

ابن عذاري :**البيان المغرب** ، 3/ 38.

[5]- هناك خلاف كبير بين المؤرخين في تحميل البربر المغاربة وحدهم مسؤولية هذه الفتنة، والظاهر أنّ التسمية جاءت متأثرة بكتابات بعض المؤرخين من ذوي الميول الأموية كابن حزم الأندلسي(المتوفى سنة456هـ/1066م)، والمؤرخ الكبير ابن حيان القرطبي(المتوفى سنة 469هـ/1079م). ويُفضّل البعض استخدام مصطلح يُنصفُ البربر كالفتنة القرطبية أو فتنة محمد بن هشام بن عبد الجبار. أنظر على سبيل المثال: ابن عذاري: **البيان المغرب**، 76/3 ، فيلالي عبد العزيز: **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1983، ص255. وحول موضوع تحديد المسؤولية في قيام هذه الفتنة ، راجع : بوباية عبد القادر : **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)**: 300-422 هـ/912-1031م، وهي رسالة دكتوراه دولة غير منشورة في التاريخ الاسلامي الوسيط ، بكلية

العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة السانيا ، وهران، لسنة 1423هـ/2002م، ص 394-424.

[6]- استعان الخليفة سليمان المستعين بالكونت شانجة غرسية SANCHO GARCIA (385-407هـ/ 995-1017م) ، وطلب الخليفة المهدي دعم أمير برشلونة ريموند وأمير أرجل URGEL المعروف في المصادر الإسلامية باسم أرمقند ARMONGOL ، راجع: ابن بسام: **الذخيرة في محسن أهل الجزيرة** ، تحقيق سالم مصطفى البدري،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م القسم الأول، المجلد الأول ، ص25. ابن عذاري : **البيان المغرب** ، 83/3 ،94 . ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ، ص113.

[7]- أنظر :ابن عذاري :**البيان المغرب** ، 89/3، 90.

[8]- ابن عذاري: **البيان المغرب**، 103/3 ، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ، 117.

هذا ولم تذكر المصادر الاسلامية شيئًا عن أسماء هذه الحصون أو مواضعها، لكنّ المؤرخ الهولندي دوزي ذكر بعضًا منها معتمدًا على المصادر اللاتينية ومنها: Coruna del conde, San- Estevan, Gormaz, Osma. ، أنظر :

Dozy Reinhardt : **Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête**

de l'Andalousie par les Almoravides (711-1110).T 3. Leyde.1861.p. 303.

[9]- تنازل الخليفة المهدي عن مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط لحليفَيْه النصرانِيين: صاحب برشلونة وأمير أرجل مقابل عقد تحالف بينهم لمحاربة الخليفة سليمان المستعين ، ومما التزم به دفع دينارين في اليوم لكل جندي نصراني ومائة دينار للملك ، وتوفير ما يلزمهم من طعام وشراب ، مع إطلاق أيديهم في غنائم البربر ونسائهم وأموالهم. أنظر :ابن عذاري :**البيان المغرب** ، 94/3.

[10]– طبق فريناند الأول هذه السياسة مع المقتدر بن هود والمعتضد بن عباد والمأمون بن ذي النون ، واستكملها ألفونسو السادس بكفاءة أكبر مع المتوكل بن الافطس والمعتمد بن عباد وعبد الله بن بلكين .

[11]– عبد الله بن بلكين : **كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** ، أعاد نشره علي عمر معتمدا على تحقيق ليفي بروفنسال ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1427هـ/2006م ، ص91. ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ،159.

[12]– راجع ملحمة السيد :

La poema de mio cid , edición y notas de Ramon Menendez Pidal, Madrid ,1913,p.187.

[13]– ابن عبود أمحمد : **التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف** ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، تطوان ، 1983م، ص69.

[14]– أنظر الدراسة التي قام بها أحد الباحثين الأسبان المتخصصين في تاريخ إسبانيا الوسيطية .

MARTIN .J. Louis .**La España medieval**. manual de hitoria de Espana .historia16 ,p291.

[15] -RODRÍGUEZ Latorre Luis Eduardo, **ingresos monetarios en conceptode parias en el reino de Navarra** .repercusiones políticas,económicas ,sociales y culturales ,v semana de estudios medievales : Najera,1 al 15 de ogosto de 1994.coord por José Ignacio de la Iglesia Duarte,1995.p. 244.

[16]– ابن عذاري: **البيان المغرب**، 94/3.

[17]– عبد الواحد المراكشي : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، أعاد نشره صلاح الدين الهواري، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006م ، القاهرة ، 1994، ص37.

[18]– اسمه الحقيقي رودريغو دياث إي بيبار Rodrigo Diaz y Vivar El Cid Campeador، فارس ومغامر قشتالي من ضواحي مدينة برغش ، اكتسب هذا اللقب من مخالطة المسلمين ، فكان يُنَادَى "يا سيدي" وتحول مع مرور الوقت إلى السيّد ، ويُعرف في المصادر الاسلامية باسم السيّد القمبيطور أو الكمبيادور، حكم بلنسية وفرض هيمنته على شرق الأندلس من سنة 487هـ/1094م حتى سنة 493هـ/1099م، يعتبره كثير من الأسبان أشهر أبطالهم القوميين،أُلّفت فيه القصائد والملاحم،أشهرها ملحمة السيد: la poema de mio cid

[19] - RODRIGUEZ Latorre, op. cit. p.244.

[20] -Dozy. R .**Le cid d'après de nouveaux documents**. Leyde. 1860. p. 118

راجع أيضا : عبد الله عنان: **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة

1408هـ/1988م، ص285 . رجب عبد الحليم : **العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف** ، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ص343.

[21]– ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ،ص 178.

[22]– ابن عذاري : **البيان المغرب** ، 3/224،223.

[23]– ابن بسام : **الذخيرة** ، ق 3 ، مج 3 ، ص25. راجع أيضا:

Piquet .v. **L'Espagne des Maures**.

Paris.1945.p.141.

[24] - ALFONSO EL SABIO, **Primera cronica general**, publicada por Ramon Menendez Pidal,tomo1,Madrid,1906. P 522.

[25] -Constable,O,R:**Trade and Traders in Muslim Spain**, *The commercial realignment of the Iberian peninsula,* ***900–1500***.. Cambridge university press 1994.p.9.

[26]- ابن عبود ، **جوانب**. ص77.

[27]- نفسه، 75.

[28]- نفسه، 75.

[29]- هناك دراسة قيمة قام بها أحد الباحثين حول مكانة الحروب في المجتمع الاسباني خلال الفترة الوسيطية:

LOURIE ,Elena , **A society organized for war**: **medieval Spain** , in the past and present,n°1,1996. pp 45-76.

[30]- **التبيان** ، ص ص 91-97.

[31]- قام الباحث الفرنسي بيزلر (Bezler , F) بدراسة مستفيضة لهذه الوثيقة وخَلُص إلى نتائج هامة تفيد بتوظيف الكنيسة الكاثوليكية لتعاليمها في خدمة مشروع ألفونسو السادس وحركة الاسترداد ، راجع :

Bezler, Francis , **Pénitence chrétienne et or musulman dans l'Espagne du Cid**.in : Annales. Histoire, Sciences Sociales, 50e année, N°. 1, 1995, pp 93-108.

[32] Ib.id , p104.

[33]– حول موضوع الحدود المتحركة بين المسلمين والنصارى الاسبان نهاية ق5هـ/11م، يمكن مراجعة : BURESU,B, **La Frontière entre chrétienté et Islam dans la péninsule ibérique** , éditions publibook. Paris. 2004,p26.

كما قام الباحث الفرنسي فيليب سيناك بدراسة هامة حول الحدود المتحركة بين المسلمين والنصارى في شبه جزيرة أيبيريا وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على سكان هذه المناطق ، راجع : SENAC .P.**La frontière et les hommes**, VII-XII[e] siècle, peuplement musulman au nord de l'Ebre et les débuts de la reconquête aragonaise ,Maisonneuve et Larose ,2000, pp285-295.

[34]– ساد الأندلس حالة من الفزع واليأس بعد سقوط طليطلة في يد النصارى الأسبان لما تمثله المدينة من أهمية استراتيجية للمسلمين ، ومن رمزية للنصارى باعتبارها عاصمة أسلافهم القوط ، وقد عبر الشاعر الأندلسي ابن العسال عن الحالة النفسية لسكان الأندلس بقوله : يا أهل أندلس حثّوا مطيتكم فما المقام بها إلاّ من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسُولا من الوسط

راجع : المقري التلمساني : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1408 هـ / 1988 م، 325/4 . ابن سعيد المغربي : **المغرب في حلى المغرب** ، تحقيق خليل المنصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417 هـ/ 1997م ، 19/2.

[35]– الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، قطعة من الكتاب نُشرت بعنوان : **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، نصان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي،معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد، 1971م،ص88.

[36]- **نفح الطيب** ، 246/4.

[37]- **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، المطبعة العصرية، القاهرة ،1312هـ ،ج1، ص110 ، مع العلم أنّ السلاوي لم يذكر تاريخ هذه السفارة صراحة ، وإنّما قرن سنة 475 هـ بردّة فعل ألفونس على مقتل رسوله اليهودي.

[38]- **الكامل في التاريخ** ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1987م ،439/8.

[39]- مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م ، ص42.

[40] PRIETO Y VIVES,A,**Los reyes de taifas** , **estidio histórico– numismático de los musulmanes españoles en el siglo V de la hégira(XI j. c.)**,Madrid, 1926 . pp227-238.

[41]- ابن رشد القرطبي: **فتاوى ابن رشد** ، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1407هـ/1987م ، 571/1.

[42]- مجهول : **الحلل الموشية**، ص42.

[43]- **التبيان** ، ص129.

[44]- ابن بلكين : **التبيان** ، ص153.

[45]- نفسه، 158.

[46]- منها ما قام به يهود اليُسانة الذين انتفضوا بسبب ضريبة فُرضت عليهم سُميت بالتقوية ، راجع : ابن بلكين : **التبيان** ، ص164.

[47]- ابن الكردبوس: **الاكتفاء** ، ص106 ، 107.